وجدت حبلى من الروح القدس

لما حل الروح القدس على السيدة العذراء وظللتها قوة العلي مرت بثلاث مراحل: الأولى هي مرحلة الحبل *"وجدت حبلى من الروح القدس"* (مت١:١٨)، والثانية هي مرحلة الولادة *"مريم التي ولد منها يسوع"* (مت١:١٦)، والثالثة هي مرحلة تغذية الصبي ونموه *"وكان الصبي ينمو"* (لو٢:٤٠). وإذ تمثل السيدة العذراء في شخصها كل نفس بشرية هكذا يتعين على كل نفس سائرة على دروب الرب أن تمر بنفس هذه المراحل الثلاثة حتى يتصور المسيح في داخلها وتنتهي إلى ملء الاتحاد به.

هذا بعينه ما يؤكد عليه القديس مكسيموس المعترف في قوله: "الكلمة الإلهي، الذي ولد مرة واحدة في الجسد، يريد باستمرار في حنانه أن يولد في روح أولئك الذين يريدونه. إنه يصبح طفلاً ويتشكل فيهم من خلال الفضائل". يعني ذلك أن إنساننا الداخلي هو رحم نفوسنا الذي يحل فيه الجنين الإلهي بواسطة الروح القدس، ولكن ليس بدون إيمان بحسب قول بولس الرسول: "ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم" (أف٣:١٧)، وقول القديس مكسيموس: "يُحبل بالمسيح داخلنا بواسطة الإيمان، وهو يُحمَل في الرحم ويولد من خلال الفضائل". فالروح القدس لم يبدأ عمله في السيدة العذراء إلا في اللحظة التي فيها *"آمنت أن يتم ما قيل لها من قِبل الرب"* (لو١:٤٥).

ومرحلة الحبل تمثل مرحلة خلع العتيق بكل أعماله الميتة وتشكل الإنسان الجديد *"الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه"* (كو٣:١٠). وكما يتعين على الجنين أن يولد بعد تمام تكونه وإلا يموت إن بقي داخل الرحم أطول مما يجب، هكذا ينبغي على النفس أن تعي تماماً أنه ينبغي عليها أن *"يتم زمانها لتلد"* (لو١:٥٧) وأن الإنحصار في هذه المرحلة والبقاء فيها يكون كحمل كاذب لا يلد إلا ريحاً فكثيرون ينطبق عليهم قول أشعياء: *"حبلنا تلوينا كأننا ولدنا ريحاً "* (إش٢٦:١٨)، وقوله: *"تحبلون بحشيش تلدون قشيشاً"* (إش٣٣:١١). أما مرحلة الولادة فهي مرحلة الإستنارة المفرحة التي تأتي في ملء الزمان حيث يولد النور في النفس، ومنها إلى آخرين ليفرحوا معها (لو١:٥٨). لكن هوذا بولس الرسول يحذرنا أنه ينبغي على

النفس بعد أن تستنير أن تتقدم إلى المرحلة الثالثة التي هي مرحلة النمو والكمال *"لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح لنتقدم إلى الكمال"* (عب٦:١)، *"إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح"* (أف٤:١٣).

وهكذا إذ تمر النفس المجاهدة بهذه المراحل الثلاثة، كما السيدة العذراء، تشهد عنها الأسفار المفتوحة في يوم الدينونة قائلة: *"نفس فلان التي ولد منها يسوع وجدت حبلى من الروح القدس وفيها كان الصبي ينمو"*.

آمين ليعطنا الروح القدس أن تكتب أسماؤنا جميعاً في سفر الحياة بشفاعة أمنا العذراء التي صارت النموذج والدليل لطريق الاتحاد بالله.